# التواصل المعرفي بين علماء الغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي
# دوافعه – مظاهره

**بحث مقدم لأعمال المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، المنعقد بدبي**
**( 27- 30 جمادى الآخر1434هـ / 7- 10- 2013م )**

**د. نوري أحمد عبيريد**
**قسم اللغة العربية/ كلية اللغات/جامعة طرابلس/ليبيا**

# التواصل المعرفي بين علماء الغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي
# دوافعه – مظاهره

**د. نوري أحمد عبيريد**
قسم اللغة العربية/ كلية اللغات/جامعة طرابلس/ليبيا

لم يكن اختياري لموضوع (التواصلِ المعرفي بين الغرب والمشرق الإسلاميين في العصر المملوكي)، بحثاً للمشاركة به في أعمال (المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية)،بمحض المصادفة؛ بل جاء نتيجة لما وقفت عليه في أثناء إنجازي لرسالتيي: (الماجستير) و(الدكتوراه)، بالإضافة إلى المحاضرات العلمية التي ألقيتها في مادة (أدب الدول المتتابعة) على طلابي، بجامعة طرابلس؛ فقد توصلت أثناء الأعمال المشار إليها إلى حقيقة مفادها، أن الدارس والمتأمل في تاريخ العربي الإسلامي في عصر الدول المتتابعة وعصر المماليك بصفة خاصة، والتي امتد حكمها بفترتيها (البحرية والبرجية) من سنة (648هـ/1250م إلى سنة923هـ/1517م) ؛ يلحظ بشدة ظاهرة التنقل والترحال بين المشارقة والمغاربة، حتى أنه لا يبالغ إذا صرح إلى كونه أشد كثافة مما هو عليه الآن.

إن هذا التواصل بين رجال العلم والقلم المغاربة وبين إخوانهم المشارقة اتخذ أشكالاً عديدة ومتنوعة، وافرز تفاعلا ثقافياً انتعش بالعطاءات المتبادلة، عطاءات تستمد مقوماتها الروحية والفكرية من منبع واحد لا ينضب ولا يجف؛ منبع التراث العربي الإسلامي المشترك، الذي كانت اللغة العربية وعاءً حافظاً له، وشكلّت مع الدين الإسلامي حبل الوريد الذي يشد المغاربة بإخوانهم المشارقة، والمشارقة بإخوانهم المغاربة.

لقد تحققت خلال العصر المملوكي هجرات بين الغرب الإسلامي وشرقه ، كما شهد كثافة رحلات طلبة العلم بين الحواضر العلمية في العالم الإسلامي؛ مما نتج عن تلك الرحلات تواصل اتخذ عدة أشكال منها: الروحي، والمعرفي، والفكري، والتجاري والاجتماعي.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز جانب من جوانب أشكال التواصل، وهو التواصل المعرفي، الذي قام به أعلام أفذاذ من ذلك العصر، أسهموا في حركة علمية ووحدة فكرية جعلت المغربي مرتبطاً بالمشرقي، والمشرقي متشوقاً لعلم المغربي؛ أحدهما يكمل الآخر، فخلّفوا لنا تراثاً ضخماً لم يقتصر على العلم المنقول أو المدون في المؤلفات؛ بل تجاوزه إلى تسجيل دقائق طريفة تشير إلى تفهم ما كان عليه السلف من خلق علمي، يتمثل بصبرهم وتحملهم المشاق للقاء العلماء والحصول على الإجازات منهم، وتطوعهم للإقراء والعطاء.

أما الطريقة التي سلكتها في إنجاز عناصر بحث (التواصل المعرفي بين علماء الغرب الإسلامي وشرقه دوافعه – ومظاهره ) ؛ فتتلخص في التصميم الآتي:

- أسباب الرحلة العلمية.
- دوافع التواصل المعرفي.
- مظاهر التواصل المعرفي.
- الخاتمة: ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها محاور الدراسة.

وإذ نقدم هذه الدراسة نرجو أن نكون قد أدينا جزءاً من واجبنا أمام التراث العربي الإسلامي، بعامة وتراث الدول المتتابعة بخاصة، الذي شكَّل العصر المملوكي منها فترة زمنية تجاوزت قاربت على ثلاثة قرون؛ هذه العصور جميعها محتاجة إلى من يجمِّل صورتها ويبيِّن فوائدها

وآثارها الطيبة؛ نظرًا للهجوم الكبير الذي نالها من قبل المستشرقين وأتباعهم؛ حيث وصموها بالانحطاط والجمود والانحدار والانهيار والتخلف، وأنها لم تّنجب أعلاماً فذة تقارن بأعلام العصور السابقة واللاحقة، وما إلى ذلك من إطلاقات معممة جائرة، تقف حجر عثرة وجدارًا عازلاً بين الباحث وتراث هذه العصور .

وفي ختام هذا التقديم أقول: إن هذه الدراسة ما هي إلا إضافة لما سبق أن أنجزه ثلة من الأساتذة النابهين في هذا الميدان، وعملي هذا ما هو إلا اجتهاد مني في هذا المجال، آمل أن أضيف به جديداً إلى المكتبة العربية الإسلامية، ليتم التواصل بين الشرق والغرب وتتوثق الرابطة الإسلامية المبنية على روح التسامح والتواصل والتآخي والتعاون بوسطية تهدف إلى لمِّ الشمل.

**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب**.

**أولا - أسباب الرحلة العلمية:**

إن ما تحمله الرحلات من نتاج فكري وعلمي، سيكون حتما مشحونا بفكرة التواصل والاحتكاك، لذا يستدعي الحديث عن دوافع التواصل بين علماء غرب العالم الإسلامي وشرقه، تناول الرحلة العلمية بين هذين القطبين في عصر المماليك؛ حيث عُدت مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية آنذاك، إلى جانب كونها علامة من علامات التواصل بين جناحي العالم الإسلامي، لما كان يستدعيه هذا الارتباط الروحي السائد بين الأمم الإسلامية من ناحية، ونظراً للمصالح المتشعبة والمشتركة بين الجهتين من ناحية أخرى.( الغنيمي، عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، القاهرة،1994م5/300،301)

وتجدر الإشارة إلى أن الحقبة التاريخية المؤطرة للبحث - وهي عصر الدولة المملوكية - صادفت ازدهار أدب الرحلة بين الغرب والشرق الإسلاميين،( مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد، 1967م، ص11)، ويكفي للدلالة على هذه الحقيقة أن نتصفح كتب التراجم والفهارس والإجازات وكتب المناقب والرحلات التي تناولت هذه المرحلة الزمنية، لنرى أن عدداً كبيراً من أعلام مغاربة ومشارقة كانوا يرتحلون ويتنقلون بين الغرب والشرق لأهداف كثيرة أهمها: الوازع الفكري والديني بالدرجة الأولى.

وقد تعرض المقري في كتابه (نفح الطيب) لكثير من العلماء والطلاب والحجاج وغيرهم، الذين توجهوا إلى المشرق، بحيث خصص الجزء الثالث من الكتاب المذكور في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى المشرق قصد الحج والزيارة وطلب العلم أو السياحة الصوفية.

وفي المقابل يُحصي المقري في الكتاب نفسه عشرات المشارقة الذين وفدوا على بلاد المغرب والأندلس لأسباب متنوعة ومن خلال الاطلاع على ترجمة هؤلاء الأشخاص من الطرفين يلاحظ أن عدداً كبيراً يتمتع بنصيب وافر من العلم والمعرفة، وإن كان اقتصر على ذكر بعض العلماء والنابغين الوافدين على المنطقة دون ذكر الفئات الأخرى.( المقري، أحمد، نفح الطيب،1988م، 5/3 وما بعدها)

وقد كان وراء هذا الزخم الهائل من أفواج الرحالة العلماء من غرب العالم الإسلامي وشرقه عدة أسباب ساعدت على هذا التحرك، الذي تطور من عملية نزوح انفرادية في البداية إلى عملية نزوح جماعية اتسمت بالغزارة والنشاط؛ مما نتج عنه تواصل معرفي وروحي بين علماء المغرب والمشرق الإسلاميين.

**وأول هذه الأسباب**: سهولة الاتصال بين أملاك سلطنة المماليك في مصر والشام وبين بلدان المغرب الإسلامي وبخاصة بلاد الأندلس؛ فقد كان طريق الأندلس نحو مصر والشام - براً وبحراً - مرتاداً باستمرار، على رغم ما اعتراه في بعض الفترات من قلاقل، وكان الطريق البري عامراً في شكل متصل بخاصة بين القيروان والإسكندرية بحذاء شاطئ البحر المتوسط؛ بحيث سارت القوافل فيه بأمان ليل نهار، وإذا ما سلك الرحالة الطريق البحري فكانت السفن تسير بحذاء الساحل المغربي الليبي حتى تصل إلى الإسكندرية، وربما تواصل طريقها إلى الموانئ الشامية إذا استدعى الأمر من تجارة أو مآرب أخرى.

- كما كان وراء تدافع الرحالة المغاربة نحو المشرق الإسلامي، نجاح المماليك في وقف الزحف المغولي وتصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام؛ فقد تمكنت قوة المماليك الفتية من التغلب على سادتهم الأيوبيين، وأقاموا دولة لهم في مصر عام 648هـ (1250م) وسرعان ما آلت إليهم الشام أيضاً بعد تمكنهم من وقف الزحف المغولي الذي اجتاح المشرق الإسلامي حتى طرق أبواب الدولة المملوكية، وذلك بعد نصر عين جالوت بقيادة المظفر قطز عام 658هـ (1260م)؛ وبذلك صارت سلطنة المماليك القوة الإسلامية الكبرى التي استطاعت التصدي لهذا الزحف الكاسح، وهو ما جعلها في أعين المسلمين درع الإسلام، وتأكدت زعامة دولة المماليك للقوى الإسلامية بتمكنها من تصفية الوجود الصليبي في السواحل

الشامية في مدة لم تزد على العقود الثلاثة إلا قليلاً، بعد نصر عين جالوت بفتح المعاقل الصليبية تباعاً وختاماً بفتح عكا عام 690هـ (1291م).

- إحياء الخلافة العباسية في مصر شكلت أحد الأسباب التي ساعدت على ازدهار الرحلة نحو سلطنة المماليك، فما أن استقر الحال بسلاطين المماليك عقب التصدي للمغول والسيطرة على الشام، حتى جنحوا للحصول على شرعية للحكم، وذلك بالحصول على التفويض من خليفة المسلمين بحكم مصر والشام، ولما كان الخليفة العباسي قد قتل في الزحف المغولي على بغداد، فقد اتجه الظاهر بيبرس إلى إحياء الخلافة في مصر، وبحث الظاهر عن أحد أفراد الأسرة العباسية ونصبه خليفة، وحصل منه على التفويض بحكم البلاد؛ وبذلك صارت القاهرة عاصمة لسلطنة المماليك وحاضرة لخليفة المسلمين، فكان لهذا الأمر جاذبيته لعلماء المغرب الإسلامي للحياة في كنف الخلافة حتى لو كانت خلافة اسمية؛ فشدوا إليها الرحال.
- شهد عصر سلاطين المماليك حركة علمية دائبة، كان من أهم مظاهرها تشجيع السلاطين للحركة العلمية وتقريبهم للعلماء وعقد المجالس العلمية والترحيب بالعلماء وتقديرهم بما يليق بما يحملون من علوم، ناهيك عن كثرة الأوقاف الموقوفة على المدارس؛ يقول التجيبي السبتي عن تشجيع الحكام المماليك للعلم والعلماء: " وكثر علماؤها (القاهرة) وفضلاؤها، وأعانهم على طلبهم واجتهادهم تعظيم أرباب الأمر لهم؛ فهم يحترمونهم، ويقيمون هممهم،...، ورتبوا (أي الأمراء والملوك) أرزاقاً جمة من أوقاف عظيمة أوقفوها من عقار وغيره، ينعاش منها أهل العلم على طبقاتهم، واختلاف مذاهبهم ومعلوماتهم. فبسبب ذلك أيضاً كثر طلاب العلم بها " ( التُّجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1975م، ص3-4)

وقد أدهش ابن جبير كثرة الأوقاف على العلم وعلى المساجد، التي أوقفها الملوك والأمراء والأثرياء والتجار لتعليم أهل دمشق والوافدين عليها، وهي ملاحظة دونها أيضا ابن بطوطة بزيارته للمدينة عام 726 هـ؛ حيث بيَّن أن الأوقاف على العلم بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها.

- ومما حفَّز طلبة العلم في شرق العالم الإسلامي وغربه على التنقل للقيا العلماء والأخذ عنهم، أنه كان يجد أينما حلّ وارتحل العون الصادق في رعايته، ومد يد العون لشخصه، ولاسيما أنه كان يتنقل في بقاع يظلها الدين الإسلامي؛ فسواء حلَّ بمدن الشرق الإسلامي أو بمدن غربه، فإنه يجد الجامع الذي يؤدي فيه فرائض الصلاة، والرباط والزاوية الموقوفة على إيوائه وإطعامه، والمدرسة التي يتلقى فيها علوم الدين والدنيا، وإذا مرض وجد المارستان الذي يعالجه.

وإلى جانب هذه الأسباب الإيجابية التي يمكن أن نضعها مجتمعة في إطار واحد تحت مسمى (الاستقطاب والجذب)، كانت هناك أسباب سلبية أجبرت علماء الغرب الإسلامي على ترك ديارهم والرحيل إلى بلدان الشرق، ويمكن تقسيم تلك الأسباب إلى: أسباب طرد داخلية وأسباب طرد خارجية.

- تعد الاضطرابات الداخلية وعدم الاستقرار، من أهم الأسباب الداخلية لهجرة العلماء نحو المشرق الإسلامي، حيث أضحت تلك الاضطرابات عناوين مزعجة للعرب المسلمين في الجناح الغربي من ديار العرب والإسلام، اتسمت بالقلق والتأثير في السكان، مما أدى إلى هجرة جماعة كبيرة من الناس، وبخاصة العلماء منهم، الذين لم يكن أمامهم إزاء تلك الاضطرابات من خيار سوى الرحيل عن أرض الوطن وربما إلى غير رجعة.

وممن رحلوا بسبب هذه الصراعات السياسية الداخلية، ابن عتبة الأشبيلي الذي فر من إشبيلية حين تولاها ابن هود، وحينما كثرت الفتن في سائر الأندلس فر من نار الفتنة إلى المشرق، فحسن حاله وأنشد في ذلك شعراً.

كما هجر الأندلس للسبب آنف الذكر: محمد بن أحمد بن أبي الوليد التجيبي الأندلسي فقد صادر

حكام بنى الأحمر أمواله، وضيقوا عليه، فما كان منه سوى هجر الأندلس إلى بلاد سلطنة المماليك.

ويُعد والد أبي بكر بن العربي أحد الرجال الأقطاب المعروفين في إشبيلية، والذي غادرها على أثر سقوط دول الطوائف خوفاً من المرابطين.( المقري، نفح الطيب، مصدر سابق،2/ 34)

كما أثارت التبدلات والاضطرابات السياسية الداخلية حالة بعض العلماء أوصلتهم إلى درجة قريبة من الجنون والخبل خوفاً وذعراً من حكامهم، ومنهم أبي الوليد محمد بن عبد الله بن فيرة القرطبي(ت551هـ)، الذي وصف المقري أحواله في كتاب نفح الطيب بقوله: " وخرج في الفتنة بعدما علا ذكره في قرطبة، وأقام بالإسكندرية خوفاً من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال، كأني والله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية ثم سافر إلى مصر، وأقام بها مدة ثم قال: فو الله ما مصر والإسكندرية بمتباعدتين، ثم سافر إلى الصعيد، وحدث بقوص بالموطأ ثم قال: والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد، فمضى إلى مكة وأقام بها ثم قال: ويصلون إلى هذه البلاد ولا يحجون، ما أنا إلا هربت منه إليه، ثم دخل اليمن، فلما رآها قال: هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن، فتوجه إلى الهند حيث أدركته منيته بها سنة. 551هـ/1147م وقيل مات باليمن ".( نفح الطيب، مصدر سابق،2/ 240)

- ومما يُعد من أسباب الطرد الداخلية التي أجبرت العلماء على ترك بلادهم؛ الخلافات الأسرية، فقد ترك بعض الأندلسيين بلادهم ورحلوا إلى المشرق بسبب الخلافات الأسرية، ومنهم الأديب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، الذي ترك بلاده وهجرها بسبب الخلافات داخل أسرته في شكل صار العيش معهم مستحيلاً، فتركهم ورحل إلى أقصى المشرق حتى سمرقند وبخارى، ثم اتجه نحو الغرب حتى زار معالم مصر والشام، ثم عاد إلى بخارى فقتل فيها.

وممن رحل عن الأندلس نحو المشرق بسبب الصراعات الشخصية؛ إمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد الغرناطي، الذي أخذته حماسة الشباب فانتقد الأستاذ أبا جعفر أحمد بن علي بن الطباع، فتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب ما يرويه، ومنها كتاب أسماه (الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع)، كما كذب أبا جعفر بن الزبير وألف في نقده فرفع الأمر إلى الأمير محمد ابن نصر الملقب بالفقيه، وكان أبو حيان قد أكثر من الاعتراض على هذا الأمير حين قرأ عليه في الماضي، فكانت فرصة للإيقاع به، فأصدر الأمير أمراً بتنكيله ففر أبو حيان من الأندلس ولم يعد إليها أبداً، وكان خروجه عام 679هـ (1280)، وكما يقال: (رب ضارة نافعة) فقد استقر في القاهرة بعد أن صار حجة زمانه في كثير من العلوم.

- أما أسباب الطرد الخارجية فتتجلى في تزايد الضغط الإسباني على المسلمين في الأندلس؛ فقد كان الضغط الإسباني في مطلع عصر سلاطين المماليك قد تفاقم، وبحلول عام 661هـ (1262م) لم يبق للمسلمين في الأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيرة التي ظلت قرنين من الزمان تقاوم التقدم الإسباني حتى تمكن الإسبان عام 898هـ (1492م) من إسقاطها؛ الأمر الذي كان سبباً في هروب عدد لا حصر له من علماء الأندلس نحو المشرق بعد أن فقدوا فيها الملجأ والملاذ.

وممن رحل من العلماء بسبب الضغط الإسباني، المحدث الشهير شهاب الدين ابن فَرْح الذي أسره الإسبان عام 646هـ (1248م)، فلما خلص من أسَّره أسرع بالرحيل إلى المشرق؛ وهناك تتلمذ على أعلام معاصريه مثل العز ابن عبد السلام ت 660هـ (1261م)، وغيره حتى انتهت إليه رئاسة علم الحديث.

أيضاً من الأعلام الفارين أمام الزحف الأسباني، قاضي الجماعة في غرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت ) الذي فر إلى تلمسان بعد سقوط غرناطة ومنها إلى مصر، ثم سار للحج ليعود إلى مصر بعد تمام حجه، وولاه السلطان قايتباي قضاء القدس فبقي فيه حتى توفي عام 895هـ.

**ثانياً- دوافع التواصل بين العلماء:**

إن الدارس للرحلات في العالم الإسلامي يدرك أن الرحالين بغرب العالم الإسلامي وشرقه، لم يخرجوا من بلدهم في وجهاتهم المختلفة إلا استجابة لبواعث دينية وعلمية، وروحية، وسياسية، وسياحية ( شاهدي، الحسن، أدب الرحلة بالمغرب، الرباط،1990م، ص 63-106) ويمكن تلخيص دوافع رحلة علماء العصر المملوكي في النقاط الآتية:

**1 - الحج:**

يعد الحج من الدوافع الأساسية التي أدت التلاقح الفكري بين الشرق والغرب الإسلاميين؛ فقد كان وراء رحيل كثير من المغاربة إلى المشرق؛ وذلك بغرض أداء الركن الخامس من أركان الإسلام بجانب زيارة المقدسات في مكة والمدينة والقدس، بل يمكن القول: إن الرحلة بالمغرب في العهود الأولى لم تكن تتحرك إلا في الفضاء الروحي الديني، فالكل كان يرنو إلى البقاع المقدسة بالمشرق، وهذا ما أكده ابن خلدون حين قال عن المغاربة إن " رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم "(ابن خلدون،عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت،1961، ص 805)

وغدت مكة والمدينة - وبخاصة في العصر المملوكي - مقصداً لطلاب العلم من شتى أنحاء البلاد الإسلامية، وتطورت الحياة العلمية فيها نتيجة لجهود العلماء المسلمين في مكة والمدينة وغيرهم من العلماء، الذين استوطنوا مكة أو المدينة، أو جاوروهما لفترات زمنية؛ وكتب تراجم العلماء تبين بوضوح أثر هؤلاء العلماء، وتؤكد على النشاط العلمي الذي تزايد مع مرور الوقت من خلال حلقات التدريس في أروقة الحرمين الشريفين، أو من خلال بعض المدارس العلمية التي أقامها الأمراء والسلاطين بمكة المكرمة والمدينة، وأوقفوا عليها الأوقاف والمخصصات المالية، وعينوا العلماء للتدريس فيها، وأنفقوا بسخاء على طلاب العلم لمساعدتهم على التفرغ لطلب العلم،(خالد، عبد المحسن، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، الرياض، 1426هـ،ص368) مما أثمر تعاوناً علمياً وفكرياً عبر العصور بين علماء الأمصار الإسلامية.

ومن العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الحرمين الشريفين وقاموا بالتدريس فيهما وفي غيرهما من البلاد الإسلامية أثناء توجههم إلى مكة؛ لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودتهم إلى بلادهم المغاربية: الشيخ شرف الدين محمد بن عبد المرسي (ت. 655 ه) درس بالأندلس ومصر والشام والحجاز والعراق وإيران وما وراء النهر، وجاور بمكة، وحظيت دروسه بإقبال عظيم، وصنف مؤلفات جليلة.

ومنهم الشيخ محمد بن حجاج الإشبيلي(ت706ه)، الذي قام برحلة إلى بلاد المشرق،فمر بالإسكندرية وعدن، ومكة التي استقر بها حتى وفاته، وعرف بالصلاح، وتميز في علوم اللغة العربية،(حركات، إبراهيم، مجلة التاريخ العربي، ص63) ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المعروف بابن الحكيم (ت708ه)، درس بمكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة، وشيوخه كثيرون بالمشرق وأقطار المغرب.

كذلك حج أحمد بن أبي يحي الواديشي، وفي طريقه اجتمع بالسخاوي المؤرخ الشهير وقرأ عليه أجزاء من الصحاح الستة والموطأ ومسند الإمام الشافعي وأجازه السخاوي وعاد إلى بلده بعد أن حج وحصل جانباً من العلم.(المقري، مصدر سابق،264/2)

وهكذا يتضح لنا من خلال عرض بعض أعلام الشرق والغرب الإسلاميين القاصدين المدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة أنهم لم يقصدوهما لأداء ركن من أركان الإسلام فحسب؛ بل ليضيفوا إلى ذلك التزود بزاد العلم والمعرفة من خلال اللقاءات العلمية والفكرية، فيحصل بها من التقارب والتواصل والاستزادة من العلم، والامتداد لروافد الثقافة، والانتشار للآراء والأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية في كل عام، وهذا ما أسهم في التلاقح المعرفي والروحي بين علماء المسلمين من كل البلاد الإسلامية،(

الجاسر، حمد، ملامح التراث المغربي حول جزيرة العرب، ص174)، وإلى هذه الغاية العظيمة التي يسعى إليها العلماء يقول عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي في هذا الغرض: " كان من أعظم ما يهتم به العالم إذا حج الاجتماع بالعلماء والاستفادة منهم وإفادتهم،لقد كان بعض العلماء يحج ومن أعظم البواعث له على الحج طلب العلم والاجتماع بالعلماء"(معطيات الحضارة المغربية،الرباط،1963م 93/1)

**2 التصوف:**

زخرت كتب المناقب والتراجم وكتب الرحلة بأسماء الزهاد والصوفية ومناقبهم؛ سواء الذين شدوا الرحال إلى المشرق الإسلامي، أم الذين يمموا تجاه المغرب الإسلامي، متوخين كشف الحقائق والإجابة عن تساؤلات حول أمور التصوف، باحثين عن السند وعن شيخ يوجههم في مسيرتهم الروحية، ليأخذوا عنه أصول الطريقة، ويشبع رغبتهم في حب الله تبارك وتعالى، وغالباً ما تكون سياحتهم هذه طويلة قد تدوم عدة سنوات كما هو الشأن بالنسبة إلى أبي مدين الغوث، وأبي الحسن الشاذلي، وقد تكون الرحلة بهدف الاتصال بالصلحاء من أجل التبرك بلقائهم، والفوز بدعواتهم الصالحة، فهذا ابن بطوطة يقطع المسافات والمراحل للتبرك بولي سمع عنه، أو متعبد منقطع في زاويته أو خلوته.(ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت،1985م،ص55- 57)

والواقع أنه تصعب الإحاطة بكل الصوفية والزهاد الذين تركوا بصمات فكرية ومعرفية، وكان لهم دور بارز في تفعيل التواصل بين الغرب والشرق الإسلاميين؛ إلا أننا سنعرض بعضاً منهم على سبيل المثال: المتصوف المغربي الأندلسي محيي الدين بن عربي، ولعله خير من يمثل هذا النوع من الحالات بوضوح، فهو صاحب فكرة مذهب وحدة الوجود، الذي عُدَّ من المفاهيم الجديدة والغريبة على المجتمع الشامي في حينه، ويُعد ابن عربي هذا أعظم شخصية مغربية سكنت بلاد الشام في عصر المماليك موضوع هذا البحث، من حيث تأثير أفكاره وإنتاجه. فقد كانت أفكاره مثار جدل ونقاش أثناء حياته بل وما زالت حتى أيامنا هذه.(ابن عربي، فصوص الحكم، بيروت،1946م،25/1)

ومنهم أبو الحسن علي بن ميمون الغماري (ت917 ه)، أحد أقطاب المغرب في العلم والتصوف ولد بغمارة ونشأ بها فأخذ عن علمائها، وتولى قضاء مدينة شفشاون؛ غير أنه لم تطب له الإقامة في الخطة المذكورة فعزم على الرحيل إلى المشرق وهناك لقي كثيراً من شيوخه في العلم والتصوف، واستوطن المشرق وبرز ذكره في التصوف.

وممن أسهم برحلاته في التواصل المعرفي والروحي، الشيخ أحمد زروق الذي نشأ في مدينة فاس موئل العلماء بخاصة في العصر المريني، وصار يتردد على شيوخ العلم والتصوف، تحدث عنه المصادر رجلاً يعشق السياحة؛ حيث تصفه الكتب بهذه الصفة فيقول عنه صاحب(فهرس الفهارس):" الإمام العارف المحدث الرحال الصوفي"،( الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس، بيروت، 1982م)، وفي كتاب (الإعلام) للزركلي: " وغلب عليه التصوف فتجرد وساح " ( الزركلي، الأعلام، بيروت، 1988م،91/1)؛ إن هذه الطبيعة العلمية التواقة للرحلة تأبى عليه أن يمر بكل المراحل مروراً عادياً إذ لابد أن تكون له اتصالات مع المراكز العلمية الموجودة بالجزائر وتونس قبل الوصول إلى بغيته في مصر والحجاز. ويؤيد هذا كونه درس على علماء من تونس كعبد الرحمان المجدولي، وبالجزائر كأحمد بن محمد بن زكري (ت907 ه)،.وعن آخرين بليبيا كأحمد حلولو ومصر كالسنهوري، كما أنه عرف في هذه الأقطار فيما بعد مدرساً ومقاوماً للبدعة.

ومن متصوفة العصر المملوكي الذين شكلوا نموذجاً حياً للتواصل المعرفي والفكري، ولوحدة التطلعات والآمال بين الغرب والشرق الإسلاميين؛ أبو الحسن الشاذلي الذي ولد بمدينة سبتة، وغادرها باحثاً عن شيوخ التصوف فرحل إلى مدينة فاس ومنها توجه إفريقية قاصداً زويلة ثم غادرها متوجها نحو

تونس بعدها قرر الشاذلي السفر إلى العراق التي كانت آنذاك محط أنظار طلاب العلم والدين واجتمع فيها مع أئمة الصوفية وعلى رأسهم أبو الفتح الواسطي، ثم عاد الشاذلي إلى تونس وأخذ يعقد المجالس العلمية بمسجد البلاط وأصبحت دروسه ومواعظه من الأمور التي يحرص على حضورها مئات المريدين، غادر الشاذلي تونس في اتجاه مصر وفي الإسكندرية أخذ الشاذلي يلقي دروسه ويدعو الناس إلى طريقته وفي منزله أيضاً وكان يحضر مجلسه العلماء والصلحاء ونجباء مصر، من أمثال: الحافظ المندري، وابن الحاجب، وابن الصلاح وابن عصفور وابن دقيق العيد وعز الدين بن عبد السلام، وهكذا نلحظ أن الشاذلي قد أسهم إسهاماً فعالاً في التواصل المعرفي في المجال الروحي بين أقطار العالم الإسلامي.(النجار، عامر، الطرق الصوفية، 1995م، ص124وما بعدها).

وممن كان لهم أثر في التواصل عن طريق الرحلة الصوفية الشيخ أحمد البدوي المغربي الأصل، الذي رحل إلى المشرق الإسلامي بدافع البحث عن مراكز التصوف بها واستقر به المقام في طنطا بمصر، فنشر تعاليمه الصوفية فيها وأسس الطريقة الأحمدية التي انتشرت تدريجياً إلى أن وصلت إلى أغلب أنحاء مصر ومنها إلى البلدان الإسلامية القريبة.( عاشور، سعيد،السيد بدوي، مصر، 1984م،ص105،106)

**3 التحصيل العلمي:**

للرحلة التي قام بها علماء الغرب والشرق الإسلاميين دوافع متعددة – كما سبق الذكر – لها صلة وثيقة بطابع الحضارة العربية الإسلامية، ومن هذه الدوافع طلب العلم؛ فقد كان للدين الإسلامي نفسه ولتعاليمه السمحة الأثر في التواصل المعرفي خلال عصر المماليك، لأن الدين الإسلامي يدعو إلى المعرفة، كما أنه جعل للعلماء منزلة سامية محترمة، فضلاً على تمتعهم بالاحترام والتكريم لدى الجميع.

وقد كان لطلبة العلماء في العالم الإسلامي دور بارز في تحريك التواصل المعرفي وتنشيطه عبر الاتصال المباشر بالعلماء، وزيارة خزائن الكتب، والمراكز العلمية المختلفة، ولا نبالغ إذا قلنا: إن العلم خلال عصور الدول المتتابعة بعامة ودولة المماليك بخاصة، ارتبط بالرحلة وهذا ما تثبته معظم كتب رحلات ذلك العصر.

ولما كان الشرق الإسلامي بالنسبة أهل الغرب عامة، محط آمال الراغبين في العلم التواقين إلى التبحر فيه،كثر الارتحال إلى الشرق ولقاء علمائه في مختلف وجوه العلم وأضحى عنصراً مهماً في تكوين الشخصية العلمية، وفي اكتساب الهيبة والاحترام في الأوساط المغربية وينم عن الرغبة في تحقيق النضج العلمي، وترسيخ جذور الشخصية العلمية المتفوقة، وعلى العكس من ذلك كان اكتفاء العالم بلقاء علماء بلده والاقتصار عليهم دون الرحلة إلى غيرهم من كبار علماء ذلك العصر، فيه إشارة إلى ضيق الأفق العلمي وضعف التطلع والطموح إلى الأفضل والأحسن. حتى إنّ بعض العلماء كان يفخر بكثرة شيوخه وأساتذته، ويُعاب العالم الذي ليس له رحلة ويوصف بالانقباض عن أهل زمانه من العلماء وأهل المعرفة، وهذا ما جعل طلاب العلم يحرصون كل الحرص على تحقيق هذه الرحلة، فقلَّ من العلماء المشهورين من لم يشد الرحال لتحصيل العلم.

وفي هذه العجالة يستحيل على الباحث الإحاطة بكل العلماء الذين رحلوا إلى الديار المشرقية، لهذا سنقتصر على ذكر أشهرهم ممن كان تأثير كبير في التواصل المعرفي بين المغرب والمشرق في العصر المملوكي، بينما يستطيع طالب المزيد الرجوع إلى المصادر المختصة بهذا الشأن.

ومن العلماء المشهورين الذين قصدوا الشرق وتركوا بصماتهم في مجتمعه، وأسهموا في التلاقح المعرفي بين قطبي العالم الإسلامي: ابن سعيد المغربي (ت685هـ) نال حظه من العلم بإشبيلية، وأمضى الجانب الأكبر من حياته متنقلاً في طلب العلم وزار معظم مراكز العلوم في المغرب والمشرق الإسلاميين، والتقى بأكابر العلماء وقرأ أفضل الكتب.(المقري، مصدر سابق،318/3 وما بعدها).

وممن له باع في تعميق التواصل المعرفي بين الغرب والشرق الإسلاميين من علماء المغرب؛أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالمقري (ت759هـ) نشأ في تلمسان في جو علمي وورث من آبائه وأجداده مكتبة زاخرة بالكتب، وتفرغ للتعليم في مراكز العلم بالغرب والشرق على حد سواء.(المصدر السابق،223/5).

ويعدُّ ابن خلدون (ت808هـ) من الشخصيات العلمية المهمة التي أسهمت إسهاماً فعالاً في التواصل المعرفي بين الغرب والشرق الإسلاميين فعند استقرائنا لسيرة حياة هذا الرجل العلمية والسياسية نلاحظ أنه نهل من منابع المعرفة المختلفة في المراكز العلمية المشهورة في الغرب الإسلام، ثم اتجه إلى المشرق وتفرغ كعادته لخدمة الفكر والثقافة عاكفاً على تدريس العلم أو قراءة كتاب أو إعمال قلم في تدوين أو تأليف، كما ذكر في تعريفه وقد دامت هذه الرحلة قرابة أربع عشرة سنة (787-801هـ/1385-1379م)، وقام بعدة أنشطة تدخل في إطار ربط التواصل الفكري والمعرفي بين المغرب والمشرق الإسلاميين.(ابن خلدون، عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون، بيروت،19992م،ص254،49 – 260، وما بعدها).

وعلى الرغم من كثافة اتجاه الرحلات من الغرب الإسلامي إلى الشرق الإسلامي بعامة، إلآ أننا نجد في المقابل رحلات قصد فيها علماء الشرق إلى الغرب لطلب العلم؛ فقد احتضنت دور العلم في أقطار الغرب الإسلامي علماء من أهل الشرق قدموا فرادى وجماعات فوجدوا فيها منارات إشعاع فكري عربي إسلامي، كانت قناة من قنوات التواصل بين الغرب والشرق، وتطالعنا في أواخر القرن السادس، وبدايات القرن السابع للهجرة أسماء علماء مشارقة وفدوا على دول الغرب الإسلامي للإفادة، ومنهم: أبو بكر عمربن عثمان الخرساني الباخرزي الذي بعد ما سمع الحديث في بلاده قدم الأندلس وروى الحديث في غرناطة ومرسية وغيرهما من مدن الأندلس.

كما تشير دراسة حياة الشيخ تاج الدين أبي أحمد عبد الله بن عمر بن محمد حمويه السرخسي إلى مدى عمق وتشعب التواصل المعرفي في عصر المماليك؛ فهذا الرجل من سرخس في خراسان، رحل إلى المغرب، ثم رجع إلى الشام واستقر بها، ينشر علمه الغزير بالأصول والفروع، والتاريخ والهندسة، والطب وينقل عنه المقري ما يدل على شدة اللحمة الثقافية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فيقول:" فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة إلى زيارة البيت المقدس، وتجديد العهد ببركاته...ثم سرت إلى الديار المصرية...ثم دخلت الغرب من الإسكندرية في البحر، ودخلت مراكش أيام السيد أبي يعقوب المنصور".(المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، 66،65).

ومن العلماء المشارقة الذين اتخذوا من بلاد ن الغرب الإسلامي قناة للتواصل المعرفي؛عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ من أهل مصر، عُرف بالزبزاري، قدم إلى المغرب وتجول في بلادها، وسمع منه الناس بالأندلس في أثناء القرن السابع الهجري.(المصدر السابق،140/3،139).

والواقع أن العلماء الوافدين على المغرب الإسلامي من مصر والمشرق العربي الإسلامي يصعب على أي باحث الإحاطة بأسمائهم وأنشطتهم العلمية، وهذا ما أشار إليه المقري بصريح العبارة قائلاً:" مع علمي بأن الوافدين من المشرق على الأندلس كثيرون جداً إلا أن عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري، ولو اجتمعت على كتبي المختلفة لأتيت في ذلك وغيره مما يشفي ويكفي"،( المصدر السابق،149/3).

**ثالثا- مظاهر التواصل المعرفي بين العلماء:**

إن هؤلاء العلماء الذين جابوا أقطار الغرب الإسلامي وشرقه أسهموا فعليا في عملية تمتين التواصل الثقافي بين الغرب الإسلامي وشرقه؛ من خلال مشاركتهم في النشاط الفكري و العلمي بهما، وإذا

حاولنا حصر مظاهر هذا التواصل فإنه يصعب لكون معنى الثقافة يشمل الكثير من المجالات الدينية والروحية و العلمية و الفنية و المعمارية لكن سنقتصر على ذكر بعض المظاهر في الجوانب العلمية فقط.

لقد استقر في الأذهان أن القيمة العلمية للرحلات - الحجازية وغيرها - تكمن فيما استطاع أصحابها الحصول عليه من الفوائد بلقاء الأعلام، والاطلاع على الكتب، والظفر بالأسانيد العالية والإجازات، ومن ثم لا يعتد بمن لم يستثمر رحلته في هذا الاتجاه.

وعلى هذا الأساس يمكن عرض أهم مظاهر التواصل المعرفي بين علماء الغرب والشرق الإسلاميين في النقاط الآتية:

1 **<u>الإجازات العلمية</u>**:

من أهم مناهج التحمل والتلقي والرواية الإجازة، وهذه الأخيرة هي عبارة: عن إشهاد المجيز للمجاز له بكفاءته في علم معين مشافهة أو قراءة أو سماعاً، مع إثبات السند إلى المؤلفين والشيوخ، وقد تكون الإجازة عامة تشمل جميع روايات المجيز ومقروءاته وكتبه.

كما تعد الإجازات من " أبلغ الروابط وأعمقها بين الشرق والمغرب العربي قد تحققت على يد رسل الفكر الذين كانوا يتوجهون من المغرب بالآلاف كل عام إلى مختلف أقطار المشرق، فيصلون أسانيد الغرب بأسانيد الشرق ويتبادلون ألوان العلوم والفنون".(ابن عبد الله، عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، مصدر سابق،82/1).

ونظراً لكون الإجازة عنواناً على ما استطاع المجاز له تحصيله من العلوم والروايات والأسانيد فقد حرص الطلبة والعلماء، على السواء، على إبداء الرغبة فيها، ولم يتخلف العلماء الرحالون في عصر المماليك عن هذا العرف العلمي السائد، إذ في مقدمة ما حملوه معهم من زاد في وجهتهم الحجازية استدعاءات الإجازة لعرضها على من يلقونهم من العلماء الأعلام، لعلهم يظفرون منهم بالإجازات لهم ولمن ذكروا في هذه الاستدعاءات.

فهذا ابن رشيد السبتي حمل معه في عيبته من سبتة ثلاثة من هذه الاستدعاءات: استدعاء أصغر، واستدعاء أخضر، واستدعاء أكبر، كما حصل على إجازات أخرى باستدعاء رفيقه في وجهته ابن الحكيم.(حدادي،أحمد،رحلة ابن رشيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،3/2،361/417،233/5،463).

والعبدري كذلك حصل على إجازات له ولولده خطها أصحابها في الاستدعاء الذي أعده لرحلته،(العبدري، محمد،الرحلة المغربية،الرباط،1968م،ص138)، وهذا القاسم التجيبي يقول عن نور الدين اليمني القاهري: "واستجازني فأجزته مثلما أجازني".(التُّجيبي، مستفاد الرحلة، مصدر سابق،ص139).

كما تمدنا المصادر بأخبار عالم أندلسي اشتهر بجولاته في المشرق، وحرصه على الرجوع بأكثر عدد ممكن من الإجازات؛ وهو العالم أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن محمد بن مفرج الأموي الإشبيلي المعروف بابن الرومية (ت637هـ) كان إماماً في الحديث، وعلماً من أعلام علم النبات والأعشاب الطبية، ابتدأ رحلته المشرقية عام 612هـ، وبعد أدائه لفريضة الحج، تجول في المشرق للتحصيل العلمي في مجال اختصاصه في علمي الحديث والنبات، وقد دون هذا العالم حصيلة تجواله في فهرسته، نقل لنا عبد الملك المراكشي منها أسماء من لقيهم من العلماء، وتتضمن القائمة نحو خمسة عشر اسماً من علماء الموصل أخذ عنهم ابن الرومية بإجازة المراسلة ما بين سنتي 606هـ و610هـ.(المراكشي،ابن عبد الملك،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، بيروت،1984م،ص487- 518).

وهكذا نجد أن رحلة هذا العالم العلمية، وثَّقت إلى درجة كبيرة جداً من التواصل المعرفي بين علماء الموصل والأندلس، على الرغم من البعد المكاني، وعدم استطاعة بعض الأندلسيين من التوجه إلى هذه المدينة، فاستفادوا من الإجازات العلمية التي جاء بها أحد زملائهم.

ومن المدن المشرقية التي كان لها دور بارز في هذا المجال، القدس بصفتها مركزاً لالتقاء مختلف العلماء الذين كانوا يأتون إليها من أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، فقد لقي فيها الرحالة خالد البلوي، العالم جمال الدين أبا بكر محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة، الذي جاءها من دمشق، فأجاز له رواية شعره في القدس سنة 737هـ.

وهذا عالم آخر جاء من الموصل ضمن رحلته المشرقية، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأندراشي المعروف بابن البلنسي، وابن اليتيم(ت621هـ)، وقد لقي أعلام علمائها، وأخذ عنهم، ورجع إلى بلده بعلم جم وأصبح قاضياً، ويقول عنه ابن الأبار، إنه كتب له بالإجازة لجميع رواياته،(ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،613/2)، وهذا يشير إلى انتقال حصيلة علم ابن اليتيم، الذي جاء به من المشرق، والموصل بالذات إلى ابن الأبار العالم الأندلسي صاحب المؤلفات المعروفة في تاريخ الأندلس.

ومما يدل أيضا على أن العلماء الشرق الإسلامي تسابقوا إلى الحصول على الإجازة من علماء الغرب، ضياء الدين عيسى بن الأنصاري السبتي، الذي كان مقصوداً بالقاهرة، وهو الذي أنشد في الإجازة العامة بالأبيات المشهورة التي اتخذت عنه الكثيرين نموذجاً للإجازة، حيث قال:

أجزتُ لمن سمَّى بها ما يجوز لي  روايته بالشرط في كل مسند

ولعل في هذا وما على شاكلته شاهد على أهمية الرحلة العلمية في نقل التراث العلمي والثقافي، وتوثيق أواصر الصلات العلمية بين مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ومن خلال نتتبع الإجازات التي تحصل عليها الرحالة في تلك الفترة نلحظ إلا أن أغلبها إجازات عامة، حيث يعرض الرحالة العلوم التي سمعها من الشيخ المجيز وإجازته له فيها، ثم يذكر أنه أجازه بعد ذلك في سائر العلوم أي في جميع العلوم، في لقاء لا يستغرق سوى ساعات معدودات، و على الأكثر أيام قليلة، لا تمكن المجيز من الإحاطة بجميع نواحي استيعاب المجاز، وفي بعض الأحيان أصبحت لا تقيد بالقراءة والمشافهة، بل تمنح بالمراسلة و السماع. فخضعت الإجازات لنوع من المجاملات بين العلماء.

وليس من المستبعد أن يكون علماء تلك المرحلة أدركوا أن هذه الإجازات لم تستكمل شروطها العلمية، ومع ذلك كانوا يمنحونها لعوامل أخرى، مثل تيسير سبل نشر العلم و الرواية، وإحداث التواصل بين أطراف العالم العربي و الإسلامي، في وقت عمّ فيه الجهل و ضاعت أغلب العلوم.

**2- تنقل الكتب والمؤلفات:**

لم يكن اهتمام الرحالين في هذه الفترة مقتصراً على حصولهم على الإجازات والسند، ولكنهم كانوا كثيراً ما يقطعون المسافات الطويلة، وفي جعبتهم الكثير من مؤلفاتهم ومؤلفات أهل بلدهم، وفي الوقت نفسه يحدوهم الأمل في أن يرجعوا وهم محملون بأهم المصادر والتآليف المفيدة لعلماء التقوا بهم واستفادوا منهم في البلدان التي حلَّوا بها؛ وما تعريج ابن رشيد على الإسكندرية في رجوعه من رحلته إلا لهذه الغاية يقول:"ولم يكن توجهي للإسكندرية عازماً على التغريب، ولكن لأخذ كتب كنت أودعتها هناك".(الشاهدي، الحسن،مصدر سابق،92/1).

فاهتمام ابن رشيد بالكتب والبحث عنها والعمل على اقتنائها لازمه في كل مراحل الرحلة، فكان يقصد أسواق الكتبيين لشراء مصنفات العلماء، وينتقي أجودها، من حيث الخطوط والأشكال، فهاهو يعثر على نسخة من كتاب يحمل عنوان (المثل السائر) في سوق الكتبيين بدمشق، وقد أعجب بحسن خطها،

وشكلها، لكنه يندهش حينما يكتشف أنها كُتبت بخط أبي العباس الجزائري،(المصدر السابق،92/1)، وفي هذا خير دليل على تبادل الكتب والمصنفات بين المغاربة والمشارقة.

كما ذكر السخاوي في (الضوء اللامع) أن كتاب (شرح ألفية ابن مالك) للشيخ عبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي (ت801 هـ) قد وصل إلى مصر وأصبح متداولاً بين الطلبة،(السخاوي، الضوء اللامع، القاهرة،1957م،97/4)، وأن (كتاب الزكاة) لابن الجد الفهري المغربي، و(كتاب النظر في أحكام النظر) لابن القطان المغربي يدرسان في مصر على الخصوص (الوراكلي، حسن، مجلة المناهل، العدد 2، يناير 1982،ص602).

وفي الإطار نفسه أسهم عبد الرحمن بن خلدون في تبادل الكتب بين المشرق والمغرب، ففي سنة 789هـ أدى فريضة الحج، وفي الديار المقدسة اجتمع بوفد الحجيج المغربي وتسلم رسالتين مطولتين،تلتمسان إرسال ما جدَّ من الكتب المصرية إلى المغرب، وتذكرانه عما توصل هو بالمصنفات التي بُعثت إليه من المغرب،( ابن خلدون، التعريف بان خلدون، مصدر سابق،ص422)، كما أشار ابن خلدون في المقدمة إلى وصول بعض كتب النحو المشرقية إلى المغرب في تلك الفترة، حيث قال: "... وصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها (المغني في الإعراب)،... فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة " (ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص76).

وكثير ما تنتقل المصنفات بين أقطار العالم الإسلامية عن طريق الهبة، أو الهدية؛ يذكر التُّجيبي أن شيخه شرف الدين الدمياطي كان يهب الكتب للمغاربة، إذ يقول عنه: "... صاحب أصول صحاح لا يبخل بها، وقد أعارنا الأجزاء، ووهب لنا التصانيف" (التُّجيبي، مستفاد الرحلة، مصدر سابق، ص177)، كما أشار التجيبي إلى أن الشيخ أبا القاسم هبة الله بن عبد الله القفطي القوصي، أهدى إليه بعض نسخ مصنفاته. (المصدر السابق، ص177).

وينقل لنا التنبكتي بأن العبدري (ت بعد 688هـ) عاد من رحلته وهو محمل بالنفائس منها، إذ وهبه أبوعبد الله ابن صالح ببجاية بعضاً من كتبه.( التنبكتي،أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ليبيا،1989مص163).

ولكثرة ما تتضمنه هذه الرحلات من نصوص نادرة لأعلام القرن السابع الهجري أضحت مصدراً لا يستغنى عنه في التأريخ الأدبي والفكري لهذه الفترة بالعالم العربي كله، كما عدت من المصادر الأساسية لإنتاج أصحابها في العلم والأدب والشعر، إلى جانب أنها جسدت بوضوح فكرة التواصل العلمي بين المشرق و المغرب.

**3- لقاء العلماء ومدارستهم:**

من المظاهر الدالة على عمق التواصل المعرفي حرصُ أغلب علماء هذا العصر على ارتياد مكاتب العلم في أنحاء المغرب العربي وبلاد المشرق للاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم؛ ولقد أوضح ابن خلدون " أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم "، كما قال في فصل عقده في مقدمته لهذه القضية: " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ".(ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق،1981م).

وهكذا كان العبدري كلما حل ببلد سأل عن شأن العلم به، فإن وجد إقبال أهله على حلقات الدرس والمجالس العلمية انطلق لسانه ثناء ومدحاً، وإن وجد العكس صب جمّ غضبه على ذلك البلد وأهله ورثى حاله.(العبدري، الرحلة المغربية، مصدر سابق، ص76).

كما حرص العالم: ابن رشيد السبتي (ت721 ه) على عمل فهرسة خاصة لشيوخه وتراجمهم وأسانيد الأخذ عنهم، سماه "ملء العيبة، فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة"، ومضمون العنوان يوحي أن ابن رشيد عاد من وجهته الحجازية وعيبته مملوءة بما استطاع تدوينه من الفوائد، والأسانيد العالية وما رواه من الإفادات والإنشادات، وما لخصه من الكتب والمتون، وما ظفر به من السماعات والإجازات بأهم المراكز العلمية في طريق الحج؛ فقد تأتى له - أثناء الرحلة - لقاء عدد كبير من أعلام المشرق والمغرب، فيهم العلماء والأدباء والمتصوفة والأميون كذلك، لتمثله للمنهج الحديثي المعروف بالتقميش، ويعني الرواية والتقييد عن الأعلام دون شروط واعتبارات، لتعرض بعد ذلك تلك الروايات والمواد العلمية على التمحيص والاختبار والنقد، ومن هنا كان بحثه عن الأعلام متواصلاً في حلقات الدرس، وفي الزوايا، وفي النزه، كتلك التي جمعته في تونس مع نخبة من الفضلاء، بادرهم بتحريك هممهم للمساجلات والإجازات الشعرية، فلا غرو إن اتسعت عيبته لعدد كبير من أعلام البلاد العربية في القرن السابع الهجري، وصل إلى مائتين وخمسين علماً،( حدادي د، أحمد، رحلة ابن رشيد، مصدر سابق،ص56)، ولعل الأمر نفسه هو الذي يؤشر عليه عنوان رحلة التُجيبي الموسوم بـ(مستفاد الرحلة).

كما نجد الرحالة المغربي أبا عبد الله محمد العبدري قد قام برحلة حجية زار خلالها بلاد مصر بصفتها محطة من المحطات الكبرى في طريق الحجاز، حيث اتصل بنخبة من كبار العلماء المصريين الذين أفادوه خصوصاً في علم الحديث والأشعار، ففي الإسكندرية أخذ عن الشيخ أبي عبد الله نور الدين الإسكندري وسمع منه قصيدتين للرحالة ابن جبير، إضافة إلى عدة أبيات شعرية حرص على تسجيلها كلها في كتابه (الرحلة المغربية)، وحصل منه على إفادات أخرى في فقه النوازل، واستفاد معلومات مهمة في علم الحديث من شيخه زين الدين علي المالكي المعروف بـ(ابن المنير) ، إذ حصل منه على إجازتين: الأولى في شرحه لـ(صحيح البخاري)، والثانية في الجزء الثاني من (مختصر) الفقيه ابن الحاجب في الفقه المالكي، وسمع منه أشعاراً كثيرة ضمها إلى كتابه سابق الذكر،والتقى أيضاً في الإسكندرية بالشيخ تاج الدين الغرافي، الذي سمع منه أشياء في علم الحديث، زيادة على طائفة من الأشعار، ونظراً للعلاقة الطيبة التي جمعت بين الشيخ الغرافي وتلميذه العبدري، فإنه لم يكتف بإجازته له، بل أبى إلا أن يعرِّفه مجموعة من خيرة علماء الإسكندرية، فاستجازهم له على الرغم من أنه لم يتتلمذ لهم قط.

وعندما وصل العبدري إلى القاهرة، اجتهد في البحث عن كبار المشايخ بها. ومن حسن حظه أنه اتصل باثنين من مشاهير العلماء في ذلك العصر، وهما: شرف الدين الدمياطي، وتقي الدين محمد ابن دقيق العيد. وقد نهل من علمهما، بخاصة في مجالي علم الحديث والشعر، ودوَّن ذلك في **"رحلته"**ـه؛ كما حصل على إجازتهما، واستجازهما لأبنائه الثلاثة الذين تركهم بالمغرب. ( العبدري، الرحلة المغربية، مصدر سابق).

وتجدر الإشارة إلى أن الرحالة يفسح رحلته لكل من التقى بهم من علماء ومحدثين وأدباء وشعراء ومتصوفة وزهاد فتتنوع رواياته حديثاً وفقهاً وأدباً وشعراً، ويستفاد منه كذلك في هذه العلوم وغيرها، وهذا ما يصطلح عليه بالتدبيج عند المحدثين، وهو أن يتبادل الطرفان الفوائد والروايات والأسانيد، فقصد الرحالة للمجالس لا يكون للتلقي وحده وإنما للمذاكرة والمحاضرة، والمناظرة، والمناقشة، والمساجلة.

يقول العبدري عن الشيخ الفقيه المحدث الأصولي عالم الديار المصرية تقي الدين ابن دقيق العيد إنه: "وقف على ما تقيد من هذه الرحلة [يقصد الرحلة المغربية] واستحسنه وأفادني فيها أشياء وقيد منها وفاة الشقراطسي"، كما سأله عن ابن القطان وعن ابن عبد الملك المراكشي، فكتب ما أملاه عليه، وجالس أبا محمد بن هارون بتونس فأخذ عنه وذاكره في أمور منها كتاب (درر السمط) لابن الأبار حيث تعقب العبدري بعض مواضع منه فأعجبه قوله فيه، كما قيد أبو الحسن الغرافي عن العبدري نماذج من أشعاره، وراجع العبدري ابن المنير في قصيدته النبوية فاستحسن آراءه وأذن له في إصلاحها. (المصدر السابق)

أما ابن رشيد فقد حظي من لدن علماء البلدان التي دخلها في رحلته بتقدير خاص بعد أن رأوا فيه عالماً مشاركاً يسهم في المناقشات العلمية، ويدلي بدلوه فيما يخوض فيه العلماء والأدباء من علوم وأشعار وآراء نقدية، فأخذ بطرف من الكلام في العربية مع ابن النحاس، وتبادل مع ابن حبيش بتونس القصائد الشعرية.(ابن رشيد، ملء العيبة، تونس،1981م،108/3).

والرَّحالة في سعيه للتواصل مع أعلام البلدان التي دخلها، لم تكن لقاءاته مقصورة على الرجال، وإنما شملت النساء أيضاً، فابن رشيد لقي بمصر أم الفضل زينب البغدادي، وبالمدينة المنورة أم الخير فاطمة البطائحي، وسعى للقاء سيدة فاضلة في تونس لها سماع عال، لكنها توفيت قبل أن يظفر بذلك.(المصدر السابق، 5/3، 21،319).

أما العبدري فقد نقل عن ابن رواحة الأنصاري الحموي شعراً للشيخة الأديبة أم علي تقية الارمنازي،(الرحلة المغربية، مصدر سابق،ص136)، وفي أسانيد التجيبي حلقات نسائية رواها عن كل من أبي محمد التوني الدمياطي، والموفق الخرساني، وأبي الفضل العساكري وابن دقيق العيد،.(مستفاد الرحلة، مصدر سابق،ص43،102،159).

كما تتضح مظاهر التواصل المعرفي بين علماء الغرب والشرق الإسلاميين في المناظرات العلمية التي توفرت لعلماء البلدين لتقييم المستوى العلمي وتبادل الأفكار و الآراء، وتسجل المصادر التاريخية في هذا الصدد مناظرة ابني الإمام لابن تيمية(ت728هـ)،(التنبكتي، نيل الابتهاج،مصدر سابق،ص166)، ومناظرة محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ) للجلال السيوطي(911هـ) في علم المنطق.(السخاوي، الضوء اللامع،مصدر سابق،65/4).

**العلاقات الحميمية بين العلماء والاستفادة المتبادلة بينهم:**

تتضح مظاهر التواصل بين علماء المغرب والمشرق الإسلاميين أيضا في ما أشاعوه من علاقات حميمية بين بعضهم؛ مثل القيام بحق الضيافة والتكريم والرعاية، ومن ذلك ما حكاه الرحالة ابن رشيد حول أول اتصال له بالشيخ ابن النحاس، الذي أبى إلا أن يجلسه بجواره بدل أن يجلس مع الطلبة في حلقة الدرس. بل استضافه في اليوم التالي بمنزله وبالغ في إكرامه. يقول ابن رشيد:" ... فأشار بالدخول، وقدم ما حضر من الطعام. ثم لما فرغنا منه، أقبل بالتأنيس، وعرض عليَّ جميع كتبه أو أكثرها كتاباً كتاباً حتى مللت، وقال: حكمك فيها ماض وهي مباحة لك، فشكرته أتم الشكر، وعرفت أني لقيت جليل القدر؛ فلا أزال أذكره أطيب الذكر".(ملء العيبة، مصدر سابق، 111/3)، وبذلك استفاد وأفاد؛ كما طلب منه الصفدي أن يكتب له شيئاً من شعره.( الصفدي، الوافي بالوفيات، بيروت، 1988م،285/4،-286).

أما الرحالة العبدري، فقد ذكر حسن معاملة شيخه تاج الدين الغرافي له، الذي بات مهموماً لأجل فراقه. إذ تألم هذا الشيخ كثيراً عندما عزم العبدري على مغادرة الإسكندرية إلى القاهرة، وقد استودعه بحرارة ، ويذكر أنه لما رجع من الحجاز وحل بمدينة القاهرة مريضاً، استقبله شيخه شرف الدين الدمياطي

وأنزله بالمدرسة الظاهرية، وبعث إليه طبيباً لمعالجته، وبقي يتعهده حتى شوفي من مرضه. (الرحلة المغربية، مصدر سابق،ص،120،234).

ولعل أروع الأمثلة على تلك العلاقات الحميمية ما لقيه ابن مالك النحوي المتوفى بدمشق سنة 672 هـ/ 1274 م، من حفاوة وترحاب حتى عُرف بشيخ النحاة، انطلاقاً من سعة علمه وإطلاعه وخبرته الواسعة في هذا العلم، الأمر الذي أهله لأن يتسلم رئاسة المدرسة العادلية الكبرى وشيخ النحو والنحويين فيها ولفترة طويلة من الزمن.(الفيروزآبادي،البلغة في تاريخ أمة اللغة،دمشق،1972م).

كما استحوذ ابن مالك النحوي على الاهتمام بعد وفاته، فأثنى عليه كثيرون من المهتمين بالنحو، ووصفوه بالكمال، والمعرفة التامة بعلم النحو. فقد ذكر أحدهم، وهو ركن الدين ابن القوبع، أن ابن مالك النحوي وضع حدّاً لعملية الابتكار والتجديد في ميدان علم النحو لا يمكن تجاوزه، فكان يقول دوماً: " إن ابن مالك ما خلّى للنحو حرمة "، كما رثاه شرف الدين الحصني بأبيات أثبتها الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات، تبين عن سمو منزلته وتميز شخصيته في ميدان علمه، كما تعكس ضخامة الفاجعة التي ألمت بعلم النحو من بعده (الصفدي، الوافي بالوفيات،مصدر سابق،363،362)

ومما يُذكر أيضا عن العلاقات الودية التي أثمرتها الرحلات العلمية، وكانت من مظاهر التواصل المعرفي بين أقطار العالم الإسلامي، ما كان بين المتصوف المغربي الذي جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، أحمد زروق البرنوسي (899هـ) وشيخه السخاوي، الذي أخذ عنه الفقه، ولما عرف مكانة زروق العلمية، وأنه جمع بين علمي الشريعة والحقيقة؛ قربه إليه ووثّق علاقته به إلى درجة أنه كان يزوره في بيته ويأخذ رأيه في بعض القضايا. وقد عاش السخاوي بعد تلميذه زروق وأدرج ترجمته ضمن كتابه ( الضوء اللامع لأهل القرن التاسع).( 222/1).

كما أعجب الشيخ ابن دقيق العيد بتلميذه ابن رشيد بعد أن تناقشا في حكم البسملة في قراءة الفاتحة في الصلاة، إذ أظهر اطلاعاً واسعاً وإلماماً بآراء الفقهاء والأحداث التاريخية، مما جعله يستمتع بمجالسته الطيبة ويستفيد من مناقشته العلمية. (ملء العيبة، مصدر سابق،246/3)

ومن علماء الشرق الذين استفادوا من علماء الغرب، الشيخ ابن المنير الذي أعجب بتلميذه العبدري المتضلع من في مادة اللغة العربية ونظم الشعر. ومن الأمور التي استفادها منه، على سبيل المثال، ما قام به العبدري من تصحيح لقصيدة شيخه النبوية، وقد اعترف ابن المنير بذلك فقال:" ومن جملة إنصافه - حفظه الله - أني راجعته منها في ألفاظ قليلة رأيت غيرها أقعد بالمعنى. فاستحسن ما ذكرته، وأذن لي في إصلاحها على ما رأيت"( الرحلة المغربية، مصدر سابق،ص102)، كما سجل بعض الملاحظات على الأبيات الشعرية التي سمعها من شيخه.( المصدر السابق، ص119)

ونظراً للإفادات التي حصل عليها الشيخ تاج الدين الغرافي من تلميذه العبدري، فقد أدرج اسمه ضمن برنامج شيوخه. يقول العبدري: " وقيد اسمي ونسبي في برنامج شيوخه، وقيد علي أبياتاً من شعري، وكتب بخطه جميع القصيدة التي كتبت إلى ولدي محمد (...) وبالغ في استحسانها، وسمع مني القصيد الحجازي الذي قلته في طريق الحج.(المصدر السابق،120)

كما أفاد شيخه ابن دقيق العيد في سنة وفاة الشقراطسي صاحب القصيدة الشقراطسية المشهورة، وقال: " وذكر لي أنه طالما بحث عنها فلم يجدها "، (المصدر السابق،صص140)، وكتب ما أملاه عليه من كتاب (الصلة) لابن بشكوال، وعندما اطلع ابن دقيق العيد على (رحلة العبدري)، استحسنها وأشاد بمضمونها، بل اطلع عليها أيضاً شيوخه المصريون الآخرون. ولا شك أنهم استفادوا منها.( المصدر السابق،ص139)

## الخلاصة:

كانت هذه إذن محاولة لرصد مسيرة التواصل المعرفي بين الغرب والشرق الإسلاميين خلال عصر دولة المماليك.

ومن خلال تتبعنا لأسباب الرحلة العلمية بين جناحي العالم الإسلامي في تلك المرحلة، ودراسة دوافع التواصل المعرفي بينهما، ورصد بعض مظاهره؛ خرجنا بجملة من الاستنتاجات يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- إن الرحلة من العوامل الأساسية التي أسهمت في التواصل المعرفي بين مجتمعي الغرب والشرق الإسلامي؛ ولاسيما أن الحقبة التاريخية التي اخترناها حقلاً للبحث صادفت ازدهار الرحلات بين الغرب والشرق سواء أكان منها: الحجية أم الصوفية أم العلمية، وقد أسهمت هذه الرحلات جميعها في تبادل الأفكار والمصنفات العلمية بين الجهتين الإسلاميتين.
- لم تكن الحدود السياسية أو الجغرافية في عصر المماليك تقف حائلاً أمام طالبي العلم من المسلمين في اختيار المركز العلمي الذي يودون الدراسة فيه، فكانوا يقصدون أكثر المواطن علماً، ويزورن أبرز العلماء وأشهرهم، ويجولون بحرية في العالم الإسلامي، ثم يعودون إلى مواطنهم الأصلية، أو يفضلون البقاء في المراكز التي توجهوا إليها لميزاتها ومكانتها الدينية أو العلمية.
- إنّ نسبة توافد علماء الغرب الإسلامي على شرقه كانت أكبر من نسبة توافد علماء الشرق على الغرب، ويمكن تعليل ذلك بعدّة أسباب، منها: أن بلاد المشرق عموما ومصر والشام على وجه التحديد كانتا المقصد الأوّل لعلماء المغرب قاطبة، بسبب مكانتهما العلمية وازدهار الحياة الثقافيّة بهما، وبخاصة بعدما صارت القاهرة عاصمة للخلافة العباسيّة بعد سقوط بغداد وانتقال العلماء العراقيين إليها فرارًا من قمع المغول' كما أنّ مصر كانت المعبر الرئيسيّ للحجيج المغاربة القاصدين الحجاز.
- إن المشرق الإسلامي يومئذ كان يسوده شعور من العطف والإكرام والإعجاب - سواء من الملوك والأمراء أم من عامة الشعب - نحو هؤلاء المغاربة، على اختلاف بلدانهم، الذين يأتون من أقصى الأرض، من بلاد بعيدة نائية، ليلتمسوا في هذا المشرق البركة والعلم.
- كان العلماء الرحالة في عصر المماليك ينسجون علاقات ثقافيّة وعلميّة قويّة مع أقرانهم من خلال الجلسات العلميّة الّتي كانوا يتبادلون فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات في المسائل الفقهيّة والعلميّة المختلفة، وكانت هذه الجلسات تتم في جو من الأخوة والتآلف والتآزر، وتبادل عبارات المدح الطيب والثناء الحسن. مع التحلية المتبادلة بالأوصاف العلمية الرفيعة وبالسلوك القويم.
- أن أغلب هذه العلاقات كانت تتم داخل المؤسّسات التعليميّة كالمساجد والمدارس والخوانق والرّبط والزوايا الّتي كانت منتشرة بأقطار الغرب والشرق الإسلامي على حدٍّ سواء.
- ظل هاجس هؤلاء العلماء في تلك الفترة، لقاء الشيوخ، والاستفادة منهم، والجلوس إليهم، والحمل عنهم مما لديهم من علوم ومعارف، فكان ذلك الشغل الشاغل لهم خلال تلك الرحلات، ورصدوا فيها أسماء الشيوخ ومجالسهم العلمية، وأشاروا إلى مؤلفاتهم فكانت تلك الرحلات أشبه بفهرس ضخم لتلك العلوم والمعارف وأصحابها.
- كما كان لترويج الكتب العلمية والأدبية بين المثقفين في المجتمعين المغربي والمشرقي، دور طلائعي في مجال تلاقح الأفكار ونشر المعرفة وتقوية ميدان التواصل المعرفي بينهما.

- حرص العلماء المغاربة على استغلال وقت أداء فريضة الحج بلقاء العلماء المسلمين الوافدين إلى مكة؛ لأداء فريضة الحج وبعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي والأخذ عنهم والاستفادة مما لديهم من علوم من جهة، ومن جهة أخرى حرصوا على الاشتغال بتعليم غيرهم ممن يفد إليهم في أماكن بمكة والمدينة، أو يجلس إليهم في حلق دروسهم العلمية بين أروقة الحرمين الشريفين.
- إن المغرب الإسلامي وإن كان مديناً للمشرق في تعلم علوم الدين والمذاهب الفقهية المختلفة والعقيدة ؛ إلا أنه استطاع في القرون المتأخرة من عصور الدول المتتابعة تزويد أقطار المشرق الإسلامي بالعلماء في العلوم النقلية والعقلية، وتكفي الإشارة هنا إلى: ابن خلدون، وابن العربي، وابن مالك النحوي، وابن مرزوق الصوفي.
- بدت شخصية العالم القادم من الغرب الإسلامي – من خلال ما صورته كتب الرحلات – متكافئة مع زملائه الذين التقى بهم في الرحلة، إن لم نقل متفوقة عليهم؛ فقد أشارت هذه الكتب إلى كثير من المواقف التي أبدى فيها الرحالة القادمين من الغرب الإسلامي آراءهم والتي كثيراً ما تلقى صدى الإعجاب والتقدير الناتجان في الغالب عن إثباتهم لتفوقهم في النقاش وقدرتهم على المناظرة، وتمكنهم من الحفظ والتمثل للشواهد، والشواهد على ذلك كثيرة مبثوثة في كتب رحلات ذلك العصر، وعلى الأخص منها: ابن رشيد ،والعبدري، والتُّجيبي
- من مظاهر التواصل المعرفي التي أفرته الرحلات العلمية في العصر المملوكي، تولي بعض علماء الغرب الإسلامي مناصب رفيعة المستوى؛ مما أبان أن معظم أولئك العلماء الرحالة لم يرحلوا إلى المشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإلمامهم بفنون مختلفة من العلوم، وهذا بدوره يؤكد أن رحلاتهم لم تكن دائماً بهدف التلقي والأخذ عن الشيوخ.

وفي الختام أؤكد على ما قلته في التقديم لهذه الدراسة؛ من أنها ما هي إلا محاولة متواضعة، الغرض منها فتح الباب للباحثين لخوض غمار الصلات والعلاقات بين المغرب والمشرق الإسلاميين.

**والله ولي العون والتوفيق**

# المصـــادر والمــراجــع


1. أدب الرحلة بالمغرب، الحسن الشاهدي، مكتبة عكاظ، الرباط،1990م.
2. الإمـام أبـو عبـد الله المقـري التلمسـاني، محمـد بـن الهـادي أبـو الأجفـان، الـدار العربيـة للكتـاب، ليبيـا- تونس،1408هـ/1988م.
3. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط،5 ،1988م.
4. البلغة في تاريخ أئمة اللغة، الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، طبعة دمشق،1972م.
5. ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).
6. تاريخ الجغرافية والجغرافيين، القاسم بن يوسف التُّجيبيي، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدر العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1975م.
7. التعريف بـابن خلـدون ورحلتـه شـرقاً وغربـاً، ابـن خلـدون، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، لبنـان، ط3، 1413هـ/1968م.
8. الحيـاة العلميـة فـي الحجـاز خـلال العصـر المملـوكي، خالـد عبـد المحسـن، مؤسسـة الفرقـان للتـراث، الرياض، 1426هـ.
9. رحلة ابن بطوطة، المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،تحقيق علي المنتصر الكتاني،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1505هـ/1985م.
10. رحلة ابن رشيد السبتي، أحمد حدادي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
11. رحلـة العبـدري، المسـماة بالرحلـة المغربيـة، محمـد العبـدري، تحقيـق عفيـف محمـد الفاسـي، الرباط،1968م.
12. الذيل والتكملـة لكتـابي الموصـول والصـلة،ابن عبـد الملـك أبـو عبـد الله المراكشـي، تحقيـق وتعليـق محمد بن شريف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،1984م.
13. شـفاء الغـرام فـي تـاريخ البلـد الأمـين الحـرام، تقـي الـدين الفاسـي، المكتبـة التجاريـة، مكـة، 1417هـ/1996م.
14. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، بيروت، دار مكتبة الحياة.
15. فهرس الفهـارس والأثبـات ومعجـم المعـاجم والمشـيخات والمسسـلات، عبـد الحـي بـن عبـد الكبيـر الكتاني،اعتناء إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1402هـ/1982م.
16. الطـــرق الصـــوفية فـــي مصـــر نشـــأتها ونظمهـــا وروادها،عـــامر النجـــار، دار المعارف،القاهرة،ط1975،5م.
17. فصوص الحكم، ابن العربي،تحقيق أبو العلا عفيفي،بيروت، 1946م.
18. مجلة التاريخ العربي، العدد 15
19. مجلة المناهل، العدد 12،السنة 9،ربيع الأول،1402هـ/1982م.
20. مستفاد الرحلة والاغتراب، القاسم بن يوسف التُّجيبي، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،1975م.
21. معطيات الحضارة المغربية، عبد العزيز بن عبد الله، دار الكتب الرباط، 1963م.
22. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ،1992م.
23. ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ابن رشيد السبتي، تقديم وتحقيق الحبيب بن الخوجة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1981م.

24. موسوعة المغرب العربي،عبد الفتاح مقلد الغنيمي،مكتبة المدبولي،القاهرة،ط1414،1هـ،1994م.
25. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،المقري،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت، 1985م.
26. نيل الابتهاج بتطريز الديباج،أحمد بابا التنبكتي،إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،ط1989،1م.
27. الوافي بالوفيات، الصفدي،باعتناء هلمون ريتر، دار النشر فرانز شتاير، 1962م.